مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(٢ كورنثوس ٦: ١–١٠)

يا إخوةُ بما أنَّا معاونونَ نطلُبُ إليكم أن لا تَقبَلوا نِعمةَ اللهِ في الباطِلِ* لأنَّه يقولُ إنّي في وقتٍ مقبولٍ استَجبتُ لك وفي يومِ خلاصٍ أَعَنْتُك. فهوذا الآنَ وقتٌ مقبول. هوذا الآنَ يومُ خلاصٍ* ولسنا نأتي بِمَعثَرَةٍ في شيءٍ لئلاَّ يلحَقَ الخدمةَ عيبٌ* بل نُظهِرُ في كلِّ شيءٍ أنفسَنا كخدَّامِ اللهِ في صبرٍ كثيرٍ في شدائدَ في ضرورات في ضيقات* في جَلَدات في سُجونٍ في اضطرابات في أتعابٍ في أسهارٍ في أصوامٍ* في طهارةٍ في معرفةٍ في طولِ أناةٍ في رِفقٍ في الروحِ القُدُسِ في محبَّةٍ بلا رياءٍ* في كلِمةِ الحقِّ في قوَّةِ اللهِ بأسلحةِ البرِّ عن اليمينِ وعنِ اليسارِ* بمجدٍ وهَوانٍ. بسوءِ صيتٍ وحُسنِه* كأنَّا مُضِلُّون ونحن صادقون. كأنَّا مجهولون ونحن معروفون كأنَّا مائتون وها نحن أحياءٌ. كأنَّا مؤدَّبون ولا نُقتَل* كأنَّا

القديس رومانوس المرنّم

في الأول من تشرين الأول تعيّد كنيستنا المقدسة لأبينا البار رومانوس المرنّم، أحد أبرز أعلام الشعر الكنسي الشرقي، والذي عاش في القرن السادس للميلاد.

ولبيروت في هذا القديس حصّة، إذ هو خدم في كنيستها (حيث موقع كاتدرائية القديس جاورجيوس اليوم) مرتّلاً، وفيها سيم شماساً سنة ٥١٥ للميلاد، وفي بيروت استمر واعظاً زهاء ثلاث سنوات.

التفاصيل المتوفرة عن حياة القديس رومانوس محدودة، في ما خلا المحطات الرئيسية. إلاّ أن الشخصية الأدبية واللاهوتية لهذا القديس الشاعر والمؤلف يستدلّ عليها مما تركه لنا من إرث أغنى عبادتنا منذ تلك الأيام، ومنها الترانيم المسمّاة في الكنيسة «القنداق» والتي تغطي معظم أحداث ومحطات العهدين القديم والجديد.

إلى جانب كونه أحد أبرز ناظمي الترانيم في تقليدنا الكنسي، كان القديس رومانوس المرنّم واعظاً أيضاً منذ سيامته شماساً وحتى رقاده قرابة العام ٥٦٠، في بيروت أولاً ثم في القسطنطينية. يشار هنا إلى أن الوعظ كان في تلك الأيام المجال شبه الوحيد للتثقيف الروحي والديني للمؤمنين، والعظات كانت لهذا السبب غنية الصور والتفاسير لتسهيل الفهم على المؤمنين. في هذا المجال برز القديس رومانوس واعظاً ذا إبداعية فذّة في صياغة فكره اللاهوتي نشائد موزونة تسهب في تصوير الحدَث الخلاصي موضوع العظة. كما أنه أبدع أيضاً في إخراج عظاته. فكان يعتلي المنبر في وسط الكنيسة ويستعمل الجدرانيات والأيقونات إطاراً مشهدياً لعظته، ويتلو عظاته وكأن الشخصيات المرسومة في الأيقونات تتحاور مع بعضها. كانت عظاته موزونة مقفّاة ومرنّمة، مقسّمة إلى مجموعات من المقاطع الشعرية تنتهي كلها بلازمة. ولم يستعمل القديس رومانوس في عظاته اللغة الأدبية الرسمية بل لغة يونانية بسيطة، تحاكي طبقات الشعب البسيطة لا النخب المثقّفة وحسب.

قوة الإقناع في عظات القديس

العدد ٢٠٠٩/٣٩

الأحد ٢٧ أيلول

تذكار القديس الشهيد كَلِسْتراتس والقديسين الشهداء التسعة والأربعين الذين معه

اللحن السابع

إنجيل السَحَر الخامس

حزانٌ ونحن دائماً فرحون. كأنَّا فقراءُ ونحن نُغني كثيرين. كأنَّا لا شيءَ لنا ونحن نملكُ كلَّ شيءٍ.

الإنجيل

(لوقا ٥: ١-١١)

في ذلك الزمان فيما يسوعُ واقفٌ عند بحيرة جَنّيسارَتْ رأى سفينتين واقفتَين عند شاطئ البحيرة وقد انحدرَ منهما الصيَّادون يغسِلون الشباك* فدخل إحدى السفينتَين وكانت لسمعانَ وسألهُ أن يتباعدَ قليلاً عن البرِّ وجلسَ يعلّمُ الجموعَ من السفينة* ولمَّا فَرَغ من الكلامِ قال لسمعانَ تقدَّمْ إلى العُمقِ وألقوا شباكَكم للصيد* فأجابَ سمعانُ وقال له يا معلّمُ إنَّا قد تعِبنا الليلَ كلَّهُ ولم نُصِبْ شيئاً ولكن بكلِمتِك أُلقي الشبكة* فلما فعلوا ذلك احتازوا من السمكِ شيئاً كثيراً حتى تخرَّقَتْ شبكتُهم* فأشاروا إلى شُرَكائِهم في السفينةِ الأخرى أن يأتوا ويعاونوهم. فأتوا وملأوا السفينتَين حتى كادتا تغرقان* فلمَّا رأى ذلك سمعانُ بطرس خرَّ عند رُكبَتي يسوعَ قائلاً أخرُجْ عنّي يا ربُّ فإنّي رجلٌ خاطئٌ* لأنَّ الإنذهالَ اعتراهُ هو وكلَّ مَن معه لصيدِ السمكِ الذي أصابوهُ* وكذلك يعقوبُ ويوحنَّا ابنا زبَدى اللذان

رومانوس لم تأتِ فقط من سهولة اللغة، بل من التطابق الكلّي بين كلامه وجهاده الشخصي وتقواه. في إحدى مناجاته يخاطب الرب يسوع قائلاً: «أعطني كلاماً سهل الفهم يا مخلّصي... إفتح فمي، إملأه من كلمتك، واخترق قلبي لتطابق أفعالي كلامي».

أكثر الموضوعات العقيدية والكتابية نجح القديس رومانوس في إيصالها سهلة الهضم للمؤمنين بهذا الأسلوب. من تلك الموضوعات مثلاً وحدة عمل الله في التاريخ، أي الوحدة بين الخلق وتاريخ الخلاص، الوحدة بين العهدين القديم والجديد. كذلك أيضاً ما يختص بالروح القدس، ومسألة الطبيعتين في المسيح، وهي موضوعات كانت لا تزال موضع نزاع في تلك الأيام، وإن كانت قد حُسمت عقيدياً. لم يُدخل القديس رومانوس المؤمنين في النزاعات اللاهوتية التي كانت تفرّق لا اللاهوتيين وحسب بل بسطاء المؤمنين أيضاً. عندما كان يثير عنواناً عقيدياً صعباً، كان يفسّره بلغة التقوى البسيطة، بلغة قلب المؤمن لا بعقل المفكّر، بالصور والتشابيه السهلة التماهي للمؤمنين.

الكلية القداسة والدة الإله كان لها في قلب القديس مكانة خاصة، معترفاً لها بالفضل في موهبته الشعرية. نشير هنا إلى أن الكلية القداسة أتته مرة في الحلم، في أوائل خدمته الكنسيَّة، وأعطته ورقة ملفوفة ليبتعلها ففعل. وفي الصباح، وكان يومها عيد ميلاد المخلّص، إعتلى القديس منبر الترتيل في كنيسة بيروت ورنّم قنداق الميلاد الرائع «اليوم العذراء تلد الفائق الجوهر»، وفاضت قريحته منذ ذلك الحين.

في أماكن عدَّة من أناشيده تظهر جلياً المكانة المميزة التي كانت عنده لوالدة الإله، بل هي حاضرة تقريباً في كل أناشيده. ولعلّه خصّ الكلية القداسة بأروع ما أنشد، مثل قناديق الميلاد، البشارة، الأمومة الإلهية وحواء الجديدة. كما تُنسب إليه أبيات مديح والدة الإله التي نرنمها مساء الجمعة في فترة الصوم الكبير.

أناشيد القديس رومانوس مطبوعة كلّها بالمحبّة النابضة بالإيمان المتوقّد وبالتواضع السحيق. في نتاجه الكنسي جوهر الثقافة المسيحية في وجهها الحقيقي، هذه الثقافة المولودة من الإيمان العميق، من اللقاء الحميم مع المسيح المخلّص ابن الله الوحيد. ولأن الإيمان حي والمسيح حي واللقاء الحميم معه ممكن في أي حين، تبقى أناشيد القديس رومانوس المرنّم حيّة تخاطب المؤمنين ما دام لهؤلاء قلوب تشتهي لقاء المخلّص.

الثقة بالله

في العالم المحيط بنا حيث يكثر الكذب والغشّ والرياء، يحتار الإنسان في مَن يضع ثقته إذ يحتاج، في مواجهته لمسؤوليات الحياة ومخاطرها، إلى معتمدات يستطيع أن يستند إليها وإلى ملاذ يحتمي فيه، لكي لا يشلّه القلق ولكي يثبت رغم التجارب ولا يفقد الأمل في بلوغ هدفه.

يحثنا كاتب المزامير قائلاً: «لا تتّكِلوا على الرؤساءِ ولا على ابنِ آدَمَ حيثُ لا خلاصَ عنده» (مز ١٤٦: ٣). فالإتّكال على بني جنسنا والثقة بهم غالباً ما يوقعانا في

كانا رفيقَينِ لسمعان. فقال يسوعُ لسمعانَ لا تَخَفْ فإنَّك مِنَ الآن تكونُ صائداً للناس* فلمَّا بلَغوا بالسفينتَينِ إلى البرِّ تركوا كلَّ شيءٍ وتبعوه.

تأمل

يقول الرسول لأهل كورنثوس إن المصالحة مع الله والإيمان به لا يكفيان بل عليهم أن ينتبهوا أيضاً إلى سلوك حياتهم. لأن العودة إلى الخطيئة بعد المصالحة هي عودة إلى العداوة والإبتعاد عن إحسان الله. لأنه إن كانت حياتنا غير طاهرة لا ننتفع شيئاً من نعمة الله من أجل خلاصنا. على العكس نتأذى بازدياد من جرّاء خطايانا لأننا بعد كل هذا الإحسان من قِبَل الله نعود إلى الشرور القديمة.

هذا طبعاً لا يقوله هنا صراحة لكنه يكتفي بالقول إنه علينا أن لا نجعل نعمة الله باطلة أي أن لا نستفيد منها شيئاً، ويذكّرهم بنبوءة من أجل حثّهم على الإهتمام بخلاصهم يقول: «في وقت مقبول استجبتُ لك وفي يومِ خلاصٍ أعَنْتُك. فهوذا الآنَ وقتٌ مَقبول. هوذا الآن يومُ خلاص». «وقت مقبول» أيّ وقت هذا؟

هو فرصة العطية، فرصة الإحسان حين لا نحاسَب على خطايانا. هي فرصة لا أن نتحرّر فقط من حزن، الأمر الذي ينعكس في الكثير من الأحيان على علاقتنا بالله وعلى ممارستنا لحياة الصلاة، حيث يغزو الحزن نفوسنا موصِلاً إيّانا إلى حالة من الكآبة وعدم الثقة حتى بخالقنا الذي قال: «ثِقوا. أنا قد غَلَبتُ العالمَ» (يو ١٦: ٣٣).

يطلب منّا الرب أن نكون متشبّهين بالأولاد لكي ندخل ملكوت السموات (متى ١٨: ١–٤). هناك الكثير من النواحي التي يمكننا من خلالها أن نتشبّه بالأولاد، وإحدى هذه النواحي الثقة. فالولد، عندما يرافق والده إلى مكانٍ ما، يكون واثقاً بوالده ومسلّماً نفسه بالكليّة له، مع أنّه لا يعرف أين سينتهي به الأمر. هكذا يجب علينا أن نثق بأبينا السماوي، الذي يعرف أن يمنح العطايا الصالحة.

«ملعونٌ الرَّجُلُ الذي يتَّكِلُ على الإنسان... مباركٌ الرَّجُلُ الذي يتَّكِلُ على الرَّبِّ» (إرميا ١٧: ٥ و٧). هذه الآية تختصر الكثير من المواقف التي مرّت في الكتاب المقدّس وتمرّ في حياتنا كلّ يوم. فالشعب الإسرائيلي، طوال تاريخه، لا يريد أن يثق بإلهه (إشعيا ٣٠:١٥، ٥٠:١٠، تثنية ٣٢:٦ و١٠– ١٢) ويفضّل عليه الأصنام التي يندّد الأنبياء بكذبها (إرميا ١٣:٢٥) وعدمها (إشعيا ٥٩:٤). كما يؤكّد الحكماء أيضاً على أنّه باطلٌ الاعتماد على الغنى (أمثال ١١:٢٨، مز ٤٩: ٧–٨) وعلى العنف (مز ٦٢: ١١) وعلى العظماء (مز ١١٨: ٨–٩، ١٤٦: ٣) كما أنّه جاهلُ الإنسان الذي يتّكل على قلبه (أمثال ٢٨: ٢٦).

الحال ليست فقط حال إسرائيل القديم؛ إنّها حالنا اليوميّة. فكم من مرّة في اليوم ننسى الرب معتمدين على قوانا الشخصيّة، وكم من مرّة نغضب ونحاسب الرب على أمور نكون قد أبقيناه خارجها لكي نحلّها بمفردنا، لكننا عندما نفشل يقع اللوم على الرب دوماً، فلا نلجأ إليه ولا نصلّي وبذا نكون معاقبين أنفسنا بإبعادها عن الرب لأنّنا نشعر بالخجل من مواجهته من جديد مقرّين بأخطائنا.

لا يعني هذا ألاّ نعتمد على أنفسنا البتّة، لكن ألاّ نعتمد فقط على أنفسنا، وأن نُشرِك الرب في كلّ عمل نودّ القيام به. هنا تدخل أهميّة وجود أبٍ روحيٍّ يرشدنا إذ إنّنا نحتاج دائماً، كبشر، إلى الحضور الحسّي لشخص يكونَ إلى جانبنا يرعانا، إلى جانب الكتاب المقدّس الذي يذكّرنا دوماً بكلمة الرب من خلال حضوره الحسّي بين أيدينا.

إن الثّقة لا تفترق عن التواضع. هاتان الفضيلتان يُعبَّر عنهما في صلاة المساكين الذين هم، مثل سوسنّة، من دون أي حماية عندما تحدّق بهم أخطار الموت، ولكن قلوبهم «واثقة بالله» (دانيال ١٣: ٣٥).

نجد المزامير تزخر بالثقة التي كانت لدى كاتبها تجاه الله، حيث تظهر ثقة المتّكل على الرب في المزمور ٢٧: «الربُّ نوري وخلاصي مِمَّن أخاف، الربُّ حِصْنُ حياتي مِمَّن أرتَعِبْ» (مز ٢٧: ١)، هذه الثقة التي تعود لتظهر في عدّة مزامير أخرى: «أمَّا أنا فمسكينٌ وبائِسٌ. الربُّ يهتمُّ بي» (٤٠: ١٨)، «أمَّا أنا على رحمتِك توكَّلتُ» (١٣:٦)، «طوبى لجميعِ المُتَّكلينَ عليه» (٢: ١٢)، وصولاً إلى المزمور ١٣١ الذي هو تعبير صادق عن هذه الثقة المتواضعة التي سوف يعطيها يسوع كمالها الأخير.

خطايانا بل وأيضاً أن ننعم بخيرات لا تحدّ. بالبر والقداسة وما إليها. كم علينا أن نفعل من أجل هذا الربح الجزيل؟

لقد جاء الرب بدون أن نتعب وسامحنا على كلّ ما سبق، لذلك يصف الرسول هذه الفرصة بوقت مقبول لأن الله قد قبل في هذا الوقت الخطأة كلّهم وهو مسرور. لم يقبلهم فقط بل وأعطاهم كرامة أكبر. كما يفعل الملك إن لم يحن بعد وقت الحساب يحسن ويعطي. هذا هو أوان حياتنا الحاضرة طالما نحن بعد نعمل في كرمة الرب وقبل مجيء الساعة الأخيرة.

لنُقبل إذاً إلى الحياة الفاضلة طالما لدينا الوقت لأن الإنسان الذي يعمل في مثل هذا الظرف المناسب يجني بسهولة جوائز باهرة. كما يحصل مع الملوك في هذا العالم، عند الأعياد يظهرون بأبّهتهم ويمنحون عطايا كثيرة حتى لغير المستحقين، أمّا في يوم الحساب فهم يصغون إلى التفاصيل ويفحصون الأخطاء كلّها.

لذلك علينا أن نجاهد في مثل هذا الوقت وقت الإحسان وعمل النعمة الإلهية. حين يسهل علينا أن نربح الأكاليل. إن كنّا ونحن ممتلئون بمثل هذه الخطايا سامحنا الله وحرّرنا منها. إن كنّا الآن نقدّم له ما لدينا ألن يقبلنا بازدياد؟

القديس يوحنا الذهبي الفم

في النهاية، إنّ الثقة بالله التي لا تتزعزع هي أحد شروط الأمانة له (عبر ٣: ١٤)، وهي تُعطي لشهود المسيح فَرحاً وافتخاراً (عب ٣: ٦). إنّهم يعلمون أنّ لهم منفذاً إلى عرش النعمة (عب ٤: ١٦) طريقه مفتوح لهم بدم يسوع (عب ١٠: ١٩)، فليس لجرأتهم أن تخشى شيئاً (عب ١٣: ٦) لأنّهم يعلمون على من اتّكلوا (٢ تيم ١: ١٢)، لذا فإنّ شيئاً لن يفصلهم عن محبّة الله (رو ٨: ٣٨–٣٩).

مدرسة التنشئة اللاهوتية

يعلن مكتب التربية المسيحية في المطرانية عن استمرار التسجيل للدورة الجديدة ٢٠٠٩–٢٠١٠ في مدرسة التنشئة اللاهوتية. افتتاح السنة الدراسية سيكون بصلاة الغروب التي ستُقام عند السادسة من مساء الإثنين ٥ تشرين الأول في كنيسة القديس ديمتريوس في الأشرفية.

تستقبل المدرسة كل مَن تجاوز الثامنة عشرة من العمر من الذين يريدون التعرّف على عقائد كنيستهم ولاهوتها. تعطى الدروس أيام الإثنين والثلاثاء والخميس بين السادسة والثامنة مساءً في المركز الرعائي الشامل في مدرسة الأقمار الثلاثة مقابل كنيسة القديس ديمتريوس وتشمل الكتاب المقدس، العقائد، الآباء وكتاباتهم، الليتورجيا والأسرار والطقوس، التاريخ الكنسي، البِدَع والطوائف، القانون الكنسي، علم الاجتماع الديني وعلم النفس.

للتسجيل ولمزيد من المعلومات الرجاء الاتصال بالرقم ٠١/٣٣٤٠٨٦.

مدرسة الموسيقى

تعلن مدرسة القديس رومانوس المرنّم للموسيقى الكنسيَّة في الأبرشية عن استمرار التسجيل للعام الدراسي ٢٠٠٩–٢٠١٠. فعلى الراغبين في دراسة الموسيقى الكنسيَّة الاتصال على الرقم ٠١/٢٠٣٩٢٤ قبل الظهر لتسجيل أسمائهم، على أن لا يقل عمر الطالب عن الخمس عشرة سنة.

تمتدّ الدراسة على مدى أربع سنوات. يتعلّم الطالب في السنة الأولى قواعد قراءة العلامات الموسيقيّة وبعض التراتيل وفي السنتين الثانية والثالثة أصول الألحان الثمانية وفي السنة الرابعة تطبيقات على الألحان الثمانية بالإضافة إلى الترتيل باليونانية والتيبيكون وتاريخ الموسيقى الكنسيَّة. في نهاية الدراسة يؤهّل الطالب للدخول في جوقة المدرسة.

يخضع المنتسبون الجدد لفحص صوت يوم الثلاثاء ٦ تشرين الأول عند السادسة مساءً ويتم تسجيل الذين يُقبلون مباشرة بعد فحص الصوت.

تبدأ دروس السنتين الأولى والثالثة مساء الأربعاء ٧ تشرين الأول ٢٠٠٩ ودروس السنة الثانية مساء الثلاثاء ١٣ تشرين الأول.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb